Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يومئون اليه ويستهوون الغر الغبي بذكره وهو قولهم : قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا له وحتى لا يطمع أحد في مداناته وحتى ليقع الاجماع فيه انه الفرد الذي لا ينازع ثم يذكرون امرأ القيس والشعراء الذين قدموا على من كان معهم في اعصارهم وربما ذكروا الجاحظ وكل مذكور بأنه كان أفضل من كان في عصره ، ولهم في هذا الباب خبط وتخليط لا إلى غاية .

ورد عليهم بأنهم أنما أتوا من سوء تدبرهم لما يسمعون وتسرعهم إلى الاعتراض قبل العلم بالدليل . ثم ردّ على شبهة من زعم أنّ عجز العرب قد نشأ من أنهم لا يستطيعون النظم في مثل معاني القرآن لا لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم بل لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ، ورد بعد ذلك على القائلين بالصرفة ، وهو مذهب طائفة تزعم ان العرب كانوا قادرين على ان يأتوا بمثل القرآن ولكن الله صرفهم عن ان يأتوا بمثله لأنهم منعوا من الفصاحة منزلة كانوا عليها قبل نزول القرآن. وقال ان القرآن معجز في نفسه وانه معجز في كل زمان وانه وحي من الله ليس شيئاً كان على سبيل الالهام ، وذكر أن المعول عليه في دليل الاعجاز على النظم وان علم الفصاحة المتعلق بهذا النظم وتميز بعض الكلام من بعض ليس بالعلم الذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت بل لا بد ان تظفر بمن له طبع اذا أريته رأى لان الاصل في أمر الفصاحة هو سبر النفوس واختبارها عند تسمع الكلام. ولكن عبد القاهر يأسى عندما يرى أهل عصره لا يفطنون إلى الروعة في الكلام وتأثيره في النفوس ، وليس عندهم القدرة على التمييز بين النظمين بحيث يرون لأحدهما فضلاً على الآخر . يقول : « فليس الكلام اذن بمغنٍ عنك ولا القول بنافع ولا الحجة مسموعة حتى تجد من فيه عون لك ومن اذا أبى عليك أبى ذاك طبعه فردّه اليك وفتح سمعه لك ورفع الحجاب بينه وبينك فاستبدل بالنفار انساً وأراك من بعد الاباء قبولا » [1].

---

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ١٤٤ .